مربى الشاي

يغلى مئة كرام من السكر المذوق وعشرة كرامات من الشاي في ماء يكفي لحلها حتى تتعقد مع بقائها شفافة ثم تبرّد ويضاف اليها بعدما تبرد خمسون كراماً من الشاي ممزوجة بخمسين كراماً من السكر الناشف . فتصير لزجة فتفرغ في قوالب تجمد فيها وهي مربى الشاي اذ ذاك

الثبات

يروى عن تيمورلنك انهُ فرّ يوماً من وجه العدوّ واختبأ في خربة مذعوراً . ثم اراد ان يحول افكارهُ عن الخاطر التي كانت تحفُّ به فجعل ينظر الى نملة حاملة قمحة اكبر منها وصاعدة على الحائط فوقعت القمحة منها تسعاً وستين مرة وكانت تنزل فتلتقطها وتصعد بها وثبتت على ذلك الى المرّة السبعين فصعدت بها الحائط كلهُ . فخرج من الخربة قوي الجنان شديد العزيمة متعلماً الثبات من النملة وذلك يوافق ما حكي عن روبرت بروس . قيل انهُ لجأ ليلة الى مذود فبات فيهِ فلما استيقظ صباحاً رأى عنكبوتاً تمشي على خشبة في السقف ونفع الى الارض حتى وقعت اثنتي عشرة مرة ولما كانت المرة الثالثة عشرة مشت حتى وصلت الى راس الخشبة وفازت بمطلوبها فنهض من ساعتهِ قائلاً لقد علمتني هذه العنكبوت الثبات . اني خذلت في الحرب اثنتي عشرة دفعةً واما الثالثة عشرة فساتصر فيها . وخرج فحشد قومهُ ولقي ادورد خصمهُ فحاربهُ وكسرهُ وتملك على البلاد

وحدّث فيلد الذي مدّ اوّل سلك تلغرافي في الاوقيانوس الاتلانتيكي بين اوربا واميركا قال ذفت في اثناء ذلك مرّ العذاب وجددت منهالكًا في سبيل النجاح نحو ثلاث عشرة سنة من الزمان حتى كثيراً ما خارت قواي فيّ ولمت نفسي جاثلاً في القفار تحت الامطار او مخاطراً على متون السفن في ليالي الزوابع والانواء وانا الاقي الموانع بعد الآخر ولكني ثبتُّ على ملاقاة الموانع حتى اعانني الله فجددت التلغراف في لج البحار ولذذت بثماره اتعابي قبل مماتي

غمبتّا

نعت الصحف وفاة رجل فرنسا وركن جمهوريتها الموسيو غمبتا فاقتطفنا ما ناسب غرض الجريدة من سيرتهِ فانهُ فخرٌ لكل عصامي كما كان ذخراً لكل جمهوري فرنسوي

وُلد لون ميشل غمبتا بمدينة كاهور في فرنسا سنة ١٨٣٨ وكان ابوهُ رجلاً فقير الحال بيع الفحّار قبل ان بنى لهُ ابنهُ على ذروة المجد والثروة صرحًا . وجدُّهُ رجلٌ وضيع الاصل رحل من موطنهِ جنوى لنفر ذات يدهِ وجاء الى فرنسا في بداءة هذا القرن ومات عن ولدٍ وحيدٍ هو ابو غمبتا المارّ ذكرهُ

ولم يُكسب ولدهُ في صغرهِ علمًا ولا ابقى لهُ مالاً. فلما شبَّ الولد تزوج بفتاة ايسر منهُ حالاً ففتح بالمال الذي جاءتهُ بهِ دكانًا صغيرة لبيع الخمّار. ورزقهُ الله ولدًا وحيدًا هو ليون غمبتا الذي نحن في صددهِ وكان من قصدهِ ان يدخلهُ الى دكانهِ متى كبر ليبيع في مكانهِ. ولكن تُوفيت زوجتهُ وابنهُ طفل صغير فاعتنت اختها بهِ وساعدها اخوها على تربيتهِ وكان اخوها كاهنًا في قرية بجوار كاهور وكانت عزباء. فلما رأى ما في الولد من النجابة والذكاء وحب العلم والنباهة عزم على تعليمهِ اللاهوت ورسمهِ كاهنًا رجاء انهُ يصير يومًا من عظام رجال الدين. ووافقها ابوهُ على ذلك معتصًا بذلك الامل. فوضعوهُ في مدرسة للاكليروس يستعد فيها للاهوت. فراعت فطنتهُ ونباهتهُ معلميهِ فقالوا انهُ يصير رجلاً عظيم الشأن في العالم ولكنهم اجمعوا على انهُ لا يصلح للكهنوت لشدَّة ما بهِ من النجاج واللدد فلا يرتاح الاَّ اذا كال صاعًا بصاع ولا يتم على ضيم ولا يرجع عن كلمة. واشاروا ان ينقل الى مدرسة أُخرى فنُقل الى مدرسة العامَّة بكاهور. ولم يلبث ان تدرَّب على اساليبها حتى احرز قصب السبق على اقرانهِ وعلت مكانتهُ في عيون معلميهِ لاجتهادهِ وعلو همتهِ. وجاء في بعض تقريراتهم انهُ لدود ولكن غير حقود أنِف ولكن غير مدَّعٍ. وفاق رفاقهُ في اللاتينيَّة وصناعة الانشاء بالفرنسويَّة وكان يتسامى بينهم اسمًا وفعلاً حتى المَّت بهِ نائبة اتلفت عينهُ اليسرى واخمدت ما بهِ من الغيرة والحدَّة حينًا. فاشفق ان تتلف عينهُ الأُخرى فيصير اعمى فبادر الى تعلُّم حروف الشجاه للعمي لتسهل عليهِ قراءة كتبهم اذا عمي. ومنعهُ الطبيب عن المطالعة سنة كاملة فكانت خالتهُ تعطف عليهِ كالامّ الحنون فتقرأ لهُ المساء كلهُ وتفرج عنهُ كرب الحصر والبطالة. وكان عندهم كتب اعمال الدولة من سنة ١٨٠٠ الى ١٨٤٣ فكان يطلب اليها فتقرأ لهُ منها فيطرب طربًا شديدًا باستماع المباحثات التي جرت في مجلس مبعوثي الامَّة ايام نفاذ كيزو وبارس على الرئاسة. وكانت خطب بارس تأخذ بمجامع قلبهِ وتسحر عقلهُ سحرًا وهي التي التذت في نفسهِ بذار الوقار والاتئمان لبارس فكان يثق بهِ كلَّ الثقة طول ايامهِ. واما خالتهُ فكانت تستغرب ميلهُ الى تلك المباحث وتعجب من جلدهِ على استيعاب الخطب الطويلة المملَّة عن حالة مصر وحكامها وميزانيَّة القوات وحريَّة المطبعة ونحوها. وولع غمبتا بالسياسة منذ نعومة اظفارهِ واشتهر بميلهِ اليها وفادت نفسهُ بها حتى لم تعد تستطيع صبرًا على الحجز والانضغاط فكاد يُطرَد لاجلها من مدرستهِ طردًا. لان وزير المعارف الموسيو فورنول زار مدينة كاهور سنة ١٨٥٥ فانتدب معلمو المدرسة غمبتا ليخطب خطبة باللاتينية اذكان يومئذٍ في مقدمة التلامذة. فانشأ غمبتا خطبتهُ فراجعها رئيس المعلمين ونقحها. فلما كان غمبتا يخطبها ادخل فيها كلامًا عن طيبار يوس لمَّح بهِ الى الامبراطور نبوليون الثالث تلميحًا واضحًا. الاَّ ان الوزير كان لاهيًا عن معاني الكلام فلما انتهى غمبتا من خطبتهِ وضع يدهُ على رأسهِ قائلاً احسنتَ احسنتَ

وذهب غمبتا من كاهور الى باريس لدراسة الفقه فلم تطل اقامتهُ هناك حتى صار مقدامًا لعصبة

التلامذة مجتمعون على كلمته ويأتمرون بامره . ثم ألّف جمعيّة من انجبهم وانجب تلامذة الطب وغيرهم وكان يجتمع بهم كل ليلة ساعتين في القهاوي يباحثهم في احوال السياسة وغيرها ويندد باعمال الامبراطوريّة باصوات مخفضة . واشتهر بغزيه للجمهورية حتى صار معدوداً من فخ المعتصبين لها فكانوا يقصدونه قصداً لسمعوا كلامه عنها . وانهى في تلك الاثناء اي في ١٨٥٩ دروسه الفقهيّة ودخل في مصاف المحامين . ثم علق برجل يهودي من مشاهير المحامين عن جرائد الحزب الحر في محكمة الجزاء فدخل كاتباً عنده يحضر معه الدعاوي في المحكمة وكان معلمه هذا ينصحه قائلاً ان سر الخطابة في معرفة ما يخطب فيه معرفة تامّة فلا تقدم على العظائم قبل ان توطّد لنفسك الاساس . ولكن غمبتا ذهل عن نصيحته وظنّ انه يختم المحافل بلاغته فجسم الدعاوي بقوة جنانه فلما آن له ان يخطب اوّل خطبة في الدفاع عن صاحب جريدة (لوهنطن) المزحيّة سنة ١٨٦١ اخذته رعدة جعل ينتفض انتفاضاً لشدّة ما به من الجاش ولم يفتتح خطبته حتى عارضه القاضي قائلاً بصوت هادئ لطيف دع عنك هذا الكلام الطنّان في دعوى لا تزيد غرامتها عن مئة فرنك ولا سيّما لان الذي تدافع عنه قد عُفي عنه . فخرج غمبتا من امامه كاسف البال خجلاً وكان يقول بعد ذلك ان كلام القاضي قطّع احشائي تقطيعاً فلم ابرأ من مضضه حتى مرّت عليّ السنون . وجعل بعد هذه الواقعة يمرّن نفسه على المحاماة ويبذل جهده في تطلب الحقائق في الدعاوي وتعليق الادلّة بها . ولا يهتمّ في تحسين الانشاء وتنميق الالفاظ حتى انك لا تجد في الخطب الثلاثين التي خطبها في السبع السنين التي تلت عبارة معلاّة بنكتة بديعيّة او جملة محسّنة بالبيان تحسيناً مقصوداً

فلما جاءت سنة ١٨٦٨ وزالت عنه آثار الخذل قام للمحاماة عن صاحب جريدة (لورقيل) امام القاضي ديليسقو في محكمة خاصّة بالمحامين وكتبة الجرائد . وكان النهار قد ولّى فقال له القاضي اظنّك لا تطيل الكلام فلا حاجة لاضاءة الانوار فحمل غمبتا كلامه على غير المراد فقال لا يا سيدي فعندي ما يضيء على الدعوى اضاءة لامعة فجعلوها للتأمّلين فضحك كل من حضر من هذا الالتفات واستهلّ غمبتا خطبته وهم يضحكون فابدى فيها ما استكنّ في ضمائره منذ تصوّرت في ذهنه صورة الحريّة الى تلك الساعة وندّد بحكومة نبوليون الثالث فاراد القاضي تسكينه ونهض لتوقيفه فصرخ الجمهور لا تسكتوه قليلاً لا يُسكّت . وما زال غمبتا يجول في ميدان بحثه وصوته الجهوري يصعق القاضي وعينه تنقد بالذكاء النقّاد ويده تزن معانيه بالاشارة وزناً حتى خال القاضي ان السماء من فوقه تصعق والارض من تحته تميد وان جام الغضة قد سكب على حربه سكباً . فلما فرغ غمبتا من خطبته قال جميع من حضر انه مقدام الجمهورية وطنطنت به الجرائد المضادّة حتى دوى خبره من اقصاء فرنسا الى اقاصيها . قيل ان بعضهم قال له بعد ذلك انك رجل سعيد الحظ فقد رقيت ذروة المجد والشهرة بخطبة واحدة ولا يتهيأ لبعض

ذلك لسواك ولو بالجهد الكثير فقال له غمبتا نعم ولكن ما أدراك اني لم اقضِ على انشاء خطابي المسين فلقد وددت اكثر من عشرين نوبةً ان اخطبها ولكن لم تكن هنا (مشيرًا الى راسه) مع انها كانت تختلج هنا (مشيرًا الى قلبه) اختلاجًا كاد يقلقه. وعلى اثر هذه الخطبة انتخب نائبًا عن باريس ومرسيليا في اجتماع ١٨٦٩ فجعل يطوف فيها ويخطب مجاهرًا انه ممن لا يبغي المسالمة ولا يوافق على الامبراطورية حتى اعيت قواهُ من الحدَّة وتوالي الخطب واصابهُ الم في حنجرته منعهُ من الاجتماع

ولما انتشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا وسلَّم نبوليون في سيدان تولَّى الجمهوريون الحكم في فرنسا وسمَّوا حكومتهم حكومة الدفاع الوطني وعيَّنوا غمبتا وزيرًا للداخلية في الخامس من ايلول ١٨٦٩. وبعد ذلك حاصر العدوُّ باريس واضطر غمبتا الى الخروج منها لتولي الحكم على طور والدفاع عنها فركب البلون وطار قاصدًا طور فلما صار فوق صفوف الاعداء هبط البلون بهِ كرهًا حتى صار على مرمى الرصاص منهم. ولكن ساعدهُ القدر فنزل في طور سالمًا واندفع للحال الى تسديد الخلل ومعالجة العلل يروم الدفاع عن طور وقد سبق السيف العذل. واما ما كان منهُ بعد ذلك فقد لخصتهُ الاهرام الغراء في قولها

"ولما كان ذا اقدام وحزم غريبين لم يانف من التعب ولم يستصعب امرًا بل قبض في وقت واحد على زمام ثلاث وزارات هي الداخلية والحربية والمالية وقام بمهامها خير قيام فكان هو الرجل الذي اذا قال فعل. ولبث يعاني هذا العمل مدة اربعة اشهر ولما تفاقمت الخطوب على فرنسا وكثرت وبلاءها اصدر امرًا بجمع من لهم حق الانتخاب وقضاهُ بامر آخر حرم بهِ الانتخاب على فئة خدمت الوطن طي الثياب مختلفة ولكن الحزب الوطني المدافع ابطل هذا الامر فالح المسيو غامبتا على اجرائهِ ولبث على هذا الالحاح الى ان حضر المسيو جول سيمون فاستقال من وظيفتهِ. وفي ثامن فبراير انتخبتهُ تسعة اقاليم نائبًا عنها رغمًا عمن كانوا يضادونهُ فاختار انتخاب باريز

وبعد ذلك توجه الى ضواحي اسبانيا طلبًا للراحة ثم امتطى جواد الثاني الذي لم يالفهُ واخذ في طراد المناظرة وتعزيز حكومة المسيو تيارس التي كانت الى ذاك الحين لم تزل في ارجوحة الريب. وفي خامس نوفمبر سنة ٧١ نشأت جريدة الروببليك فرانسز تحت نظارتهِ وهي جريدة يومية ينشئها اعاظم رجال الحزب الجمهوري. واخذ يلقي الخطب البليغة وكان يضمنها نبذًا شريفة تناقلها السنة الجرائد والمحافل وتبسط على متونها الشروح الضافية الذيول

ولما توفي المسيو تيارس الشهير اتخذ المسيو غامبتا زعامة الحزب الجمهوري واخذ نجم سعدهِ في الظهور والبريق واتجهت اليهِ انظار المالك وعلم القاصي والداني ان سيكون لهُ مستقبل عظيم وكان المساعد الاوَّل على احالة رئاسة الجمهورية الى عهدة المسيو جول غريفي بعد استقالة المارشال مكماهون

وفي ٤ ا دسمبر تشكلت وزارة دوفور وبعد ذلك توجه المسيو غامبتا الى ايطاليا وقابل المسيو دبرتيس وكرسبي وغيرهما ثم قابل الملك فيكتور عمانوئيل وتناول الطعام معهُ وفي عودتهِ عرج على مرسيليا حيث القى خطاباً مهمّاً كان لهُ اثر حسن . وفي خامس جنايو سنة ٧٩ سُئل ان يراس وزارة بتخبها فابى ولم يعلن عن السبب ولكن قبل رئاسة مجلس النواب واستلم هذه الوظيفة وقام بامرها خير قيام

وسنة ١٨٨١ انتخب نائباً عن الاقليم العشرين عقيب ماحكات ومخاصمات ثم طلبت اليهِ احزاب الجمهورية ان يقبل بتشكيل وزارة فاجاب وانتخب لاعضائها من تبين واراد

ومن يوم استلم زمام هذه الوزارة ادرك بحدة فكرهِ كنه المسالة المصرية وكان يحاول ان يكسب انكلترا بالرفق واللين ولكن اهتمامهُ ونشاطهُ وبراهينهُ الصريحة الدامغة لم تاتهِ بالنتيجة المرغوبة اذ لم يصغوا الى صوتهِ ولم يؤيدوا آراءهُ ومشوراتهِ . ولما رأى نفسهُ هدفاً للطعن وقد ملَّ وتململ مما ستؤول اليهِ حالة فرنسا من انحطاط المنزلة في الخارج اخذ يطلب حجة للاستقالة ولم يطل عليهِ الزمن حتى تدبرها واستقال مع وزارتهِ بعد ان القى خطاباً نقض فيهِ بشهامة ما كان بنسبة اليهِ البعض من الطمع بالسلطة والسيادة . فقامت على اثرهِ وزارة المسيو دي فريسينه "

واما فعالهُ وخصالهُ فقد اجملها المتقدم الاغرُّ في قولهِ "هو الرائي بركبة الهواء رسولاً الى حامية القلاع لم يحذر بنادق العدوّ وهي موجهة اليهِ مطلقة عليهِ . الصائح بالمرشال مكماهون . . . . . لابدَّ من الامتثال او الاعتزال . الصادع بامرتهِ الوطنية ابان الانتخاب . الجامع لكلمة اهل الجمهورية على اختلاف الشيع والاحزاب . القائل غير تارك لاحد مقالاً . الفاعل غير مبقٍ لناقدٍ مجالاً . الخطيب الذي تهتزُّ لهُ المنابر وتنقاد اليهِ كلمات السحر متسابقة آخذاً بعضها برقاب بعض . يقف وقد احدقت بهِ الابصار وحوَّمت عليهِ الافكار تلتمس منهُ مطمعاً ومحل اعتراض فيجيل عينهُ (الكرية) فيهم ويلقي على المنبر يسراهُ ويرفع اليهم يمناهُ وقد سكن المتحركون وسكت المتكلمون وانصت المتغمغمون فيتدفق بالكلام تدفق السيل ما بين الجبلين وقد صار المعترض مريداً والنافر اليفاً والعدوّ صديقاً . فما سمعنا من قبلهِ الرعد ناطقاً ولا رأينا الليث متكلماً ولا شهدنا الجبل متحركاً ولا انحصر البحر في منبر تسع منهُ حركة مياجهِ وتبصر فيهِ تلاطم امواجهِ "

وتوفي غمبتا اوّل هذه السنة اثر رصاصة أُطلقت عليهِ عرضاً من غدّارة محشوّة كان يعالجها فاصابت يدهُ وافضت الى عالٍ اودت بهِ فات ولهُ من العمر اربع واربعون سنة . قيل وزنوا قلبهُ فكان اربع مئة كرام ووزنوا دماغهُ فكان ١١٦٠ كراماً وانهُ هو اخفُّ من دماغ بونابارت بخمسة وثمانين كراماً ومن دماغ بيرون الشاعر الانكليزي بمئتين واربعين كراماً ومن دماغ كرُمْوِل بمئة واربعين كراماً . واحتفل بجنازتهِ على نفقة الدولة الفرنسوية ودُفن في السادس من الشهر المنصرم